دروس قرآنية من الكوارث

هذه بعض الدروس القرآنية من الكوارث والمحن والتي على المسلم أن يتدبرها ويعيد التمعن والنظر فيها :

1- الكون كله مسخر بأمر الله عزوجل : فلا يحدث فيه شيء من الزلازل أو العواصف أو الكوارث والمصائب إلا بإرادته وحكمته، فإذا جاء أمر الله لا تنفع التنبؤات ولا الراصدات ولا كل أسباب الوقاية، { وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ } [غافر: 81].

{ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ } [يونس: 101].

2- وهذه الأحداث من علامات الساعة التي أطلع الله نبيه عليها، وأخبر بها النبي ﷺ ليستعد الناس لها بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله تعالى، كما في البخاري :" لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج: وهو القتل القتل..

3- من حكم الله في الكوارث إيقاظ الغافلين، واتعاظ المؤمنين، والانتقام من العصاة المذنبين { وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا } [الإسراء: 59]. ولقد خوف الله بالكوارث والمصائب والمحن أقواما عبر التأريخ فلم يتعظوا بل ازدادوا فجورا وعصيانا وتماديا في الضلال. { ولقدْ أخذْناهم بٱلْعذاب فما ٱسْتكانواْ لربهمْ وما يتضرعون } [المؤمنون: 76] { ونخوفهمْ فما يزيدهمْ إلا طغْيانًا كبيرًا } [الإسراء: 60]. وقال عز وجل : {ولنذيقنهم من ٱلْعذاب ٱلْأدْنىٰ دون ٱلْعذاب ٱلْأكْبر لعلهمْ يرْجعون} [السجدة: 21].

4- ولا ينبغي لأحد أن يأمن من عذاب الله تعالى. وعليه الاستعداد بالمراقبة لله، والالتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف بسببه. ولا يقف عند السبب المادي في تفسير آيات الله والنوازل، بل يربط كل ذلك بمالك الملك ومسبب الأسباب، ففي "الصحيحين" : عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: "اللهم، إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به. قالت: وإذا تخيلت السماء [أي: تهيأت للمطر] تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته، فقال: "لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: { فلما رأوْه عارضًا مسْتقْبل أوْديتهمْ قالواْ هٰذا عارضٌ ممْطرنا بلْ هو ما ٱسْتعْجلْتم به ريحٌ فيها عذاب أليمٌ } [الأحْقاف: 24] .

فعلى المترفين المنعمين المذنبين – من باب أولى – أن لايغتروا بماهم عليه ولايأمنوا مكر الله المفاجئ { أفأمن أهل ٱلقرىٰٓ أن يأتيهم بأسنا بيٰتًا وهمٰ نآئمون * أوأمن أهل ٱلقرىٰٓ أن يأتيهم بأسنا ضحًى وهمٰ يلعبون * أفأمنواْ مكر ٱللهۚ فلا يأمن مكر ٱلله إلا ٱلقوم ٱلخٰسرون } [الأعراف: 97-99].

5- ولا يغتر الآمن بمالديه من أسباب الوقاية التي وصل إليها بعلمه وقوته، فقوة الله وشدة بأسه لايقف بوجهها الخلق كلهم.

{ فلما جآءتهمٰ رسلهم بٱلبينٰت فرحواْ بما عندهم من ٱلعلم وحاق بهم ما كانواْ بهۦ يستهزءون } [سورة غافر: 83].

{ فأما عادٌ فٱستكبرواْ فى ٱلأرض بغير ٱلحق وقالواْ منۜ أشد منا قوة أولمٰ يروٱ أن ٱلله ٱلذى خلقهمٰ هو أشد منهمٰ قوةًۖ وكانواْ بـَٔايٰتنا يجحدون * فأرسلنا عليهمٰ ريحًا صرصرًا فىٓ أيامٍ نحساتٍ لنذيقهمٰ عذاب ٱلخزى فى ٱلحيوٰة ٱلدنيا ولعذاب ٱلأخرة أخزىٰ وهمٰ لا ينصرون } [فصلت :15- 16].

6- ومن أعظم الحمق والغفلة أن يفسر البعض تلك المصائب بأنها ظواهر طبيعية تتكرر عبر التأريخ، وتنتاب القشرة الأرضية أو الغلاف الجوي عبر الزمن ولايشير إلى حكمة الله منها.

فقد أوضح الله السبب الذي ابتلى به الأمم السابقة بقوله: { ومآ أرسلنا فى قريةٍ من نبى إلآ أخذنآ أهلها بٱلبأسآء وٱلضرآء لعلهمٰ يضرعون } [الأعراف: 94].

وأخبر عن تفسيرات الغافلين المادية بقوله: { وقالواْ قدٱ مس ءاباءنا ٱلضرآء وٱلسرآء فأخذنٰهم بغتةً وهمٰ لا يشعرون } [الأعراف: 95].

7- والأصل أن المصائب والبلايا بسبب ذنوب الناس { ظهر الفساد فى ٱلبر وٱلبحر بما كسبتٰ أيدى ٱلناس ليذيقهم بعض الذي عملواْ لعلهمٰ يرجعون } [الروم: 41]. { ومآ أصبكم من مصيبةٍ فبما كسبتٰ أيديكمٰ ويعفواْ عن كثيرٍ } [الشورى: 30]، وإذا كان الله قد أهلك قوم لوط وقوم شعيب وصالح ونوح وهود بمعصية واحدة أو ببعض المعاصي، {فكلا أخذنا بذنبهۦ فمنهم منۜ أرسلنا عليه حاصبًا ومنهم منۜ أخذته ٱلصيحة ومنهم منۜ خسفنا به ٱلأرض ومنهم منۜ أغرقنآۚ وما كان ٱلله ليظلمهمٰ ولٰكن كانوٓاْ أنفسهمٰ يظلمون } [العنكبوت: 40]

فالواجب علينا أن لانأمن مكر الله إن وقعنا بما وقعوا به – أو بمثله – من المخالفات. { أفأمن ٱلذين مكروا۟ ٱلسيئات أن يخسف ٱلله بهم ٱلأرض أو يأتيهم ٱلعذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين } [سورة النحل: 45- 46].

8- وقد يأخذ الله بهذه الكوارث الصالح مع الطالح، ثم يبعث الناس على نياتهم . { واتقوا۟ فتنة لا تصيبن ٱلذين ظلموا۟ منكم خآصة ۖ واعلموٓا۟ أن ٱلله شديد ٱلعقاب } [الأنفال: 25]. ففي الصحيحين قالت زينب: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال ﷺ: "نعم إذا كثر الخبث".

وفي الصحيحين قال ﷺ: "إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون، فيصابون معهم، ثم يبعثون على نياتهم".

أسأل الله تعالى أن يجبر كل المصابين، وأن يعوضهم خيرا، وأن يصرف عنا البلاء والمحن، وأن لايعاملنا بما نحن أهله، بل بما هو أهله، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة.